Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٦ ـ ملاحظات في مفهومي الفصاحة والبلاغة: نلاحظ أن مبدأ الفصاحة عند العرب يرتبط، أساساً بالموقع الذي تكون فيه هذه اللفظة. أي أنها ترتبط بالسياق والمعنى، وتفترض لها ميزة التلاؤم الصوتي.

وعليه، فإن الفصاحة ـ وهي ترتبط بالسياق والموقع والكلام ـ جزء لا يتجزأ من البلاغة.(٥٨) فلتحديد غرابة الاستعمال لا بد من السياق، ولتحديد المخالفة اللغوية (النحوية) لا بد من السياق؛ وكذلك الأمر لتحديد التكرار، وتنافر الحروف في التركيب (لا في المفرد). أما الشروط الأخرى الباقية (ومنها مخالفة القياس الصرفي) فهي شروط صوتية هدفها المحافظة على النطق السليم.(٥٩) ونحن بهذا نرى رأي الجرجاني في أن فصاحة اللفظة تكون «في حسن ملاءمة معناها لمعاني جاراتها»(٦٠)؛ فهو يقول: «فقد اتضح اتضاحاً لا يدع للشك مجالاً أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلم مفردة، وأن الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة التي تليها أو ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ. ومما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع، ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر».(٦١)

وربما كان تركيز العرب على الفصاحة بالمفهوم الذي عرضنا نتيجة ربط الفصاحة بفن الخطابة، أي أنها تتعلق بالارتجال. ولكن هذا لا يعني أن نظرتهم التي عَرَضناها كانت سليمة من الخطأ. فخطؤها أنها تفصل وحدات العمل الأدبي. ووحداته لا يجوز أن تنفصل لأنها تتفاعل في سبيل أن تخلق وحدة متكاملة.

---

(٥٨) راجع: صبحي البستاني، الصورة الشعرية في الكتابة الفنية، بيروت: دار الفكر اللبناني، ط ١، ١٩٨٦، ص ٤٤ وما بعدها.

(٥٩) يمكن، في مسألة علاقة الصرف بعلم الأصوات مراجعة: ديزيره سقال، الصرف وعلم الأصوات، بيروت: منشورات مريم، الطبعة الأولى ١٩٩١، (وكذلك: الطبعة الثانية، دار الصداقة العربية ١٩٩٦)؛ وكتاب: عبد الصبور شاهين، المنهج الصوتي للبنية العربية، مؤسسة الرسالة، وكتاب أبنية الفعل في شافية ابن الحاجب، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر (١٩٨٢).

(٦٠) صبحي البستاني، الصورة الشعرية في الكتابة الفنية، ص ٤٤

(٦١) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ٣٨ .